جامعة البصرة
كلية الفنون الجميلة
قسم الفنون السينمائية والتلفزيونية

المحاضرة الثانية

علاقة الجمال بالإنسان
علاقة الفن بالجمال

د. عقيل صالح آل شاروح

المرحلة الثالثة
2021

علم الجمال – المرحلة الثالثة / السمعية والمرئية

أولاً- علاقة الجمال بالإنسان

قراءة الجمال:

يمكن أن قراءة الجمال وتتبع عناصره من خلال الثقافة العامة والمعرفة بالمحيط الإنساني، ومنها جماليات الأخلاق؛ حيث تشير إلى الفكرة أن سلوك الإنسان وتصرفاته يجب أن تكون محكومة ما بين ما هو جميل وجذاب، أشار جون ديوي **إلى إن وحدة الجمال والأخلاق هي في الواقع تنعكس على فهمنا للتصرفات والسلوك في كونها (نزيهة) الكلمة لها معنى مزدوج من الجاذبية القبول الأخلاقي**، في الآونة الأخيرة اقترح جيمس بيج: ان جماليات خلاقة ومخلوقة ممكن ان تكون الأساس الفلسفي المنطقي لتربية السليمة.

الحكم الجمالي:

عادة ما تذهب الأحكام الجمالية إلى ما وراء التمييز الحسي. ديفيد هيوم **يقول إن رفاهية الذوق ليست مجرد القدرة على كشف المكونات في تركيب ما ولكن أيضا حساسيتنا للألم واللذة** (المقالات الأدبية والأخلاقية والسياسية. انديانابوليس، كلاسيكيات الأدب ٥، ١٩٨٧) وهكذا التمييز الحسي يرتبط بالقدرة على المتعة. ويقول كانت: **إن التمتع هو النتيجة عندما تنشأ المتعة من الإحساس، ولكن الحكم على شيء يكون (جميلا) له شرط ثالث: وهو الإحساس لابد أن يرتفع إلى المتعة من خلال إشراك قدراتنا للتأملات المتعاكسة.** فالأحكام الجمالية هي (الإحساس، العاطفة والفكر) الكل في واحد. فيفسر المتلقي الجمال من خلال مفهومين للقيمة هما: الذوق والجماليات كفكرة فلسفية. فالذوق هو النتيجة للعملية التعليمية والوعي للقيمة المعرفية.

العوامل التي تدخل في الحكم الجمالي:

إن الأحكام الصادرة عن القيم الجمالية تشرك في العديد من القضايا. كردود الفعل وإظهار الاشمئزاز التي تظهر ان الكشف الحسي مرتبط بالطرق الغرائبية لتعابير الوجه، وحتى التصرفات مثل انعكاس الهفوة. أيضا الاشمئزاز عادة ما يكون مشكلة ثقافية، فالأحكام الجمالية قد تكون مرتبطة بالانفعالات كالتي تتجسد بشكل جزئي في ردود الفعل الجسدية. فرؤية المناظر الطبيعية قد يعطينا ردة فعل كالانبهار والانجذاب والتسامي وغيرها مما يظهر مجسداً بتغير معدل ضربات القلب أو اتساع بؤبؤة العينين وما الى ذلك. فردود الفعل المختلفة غالباً ما تكون الفاقدة للوعي او جزأ تأسيسيا مما يجعل حكمنا حكما للمشهد السامي.

وبالمثل، الأحكام الجمالية قد تكون مكيفة ثقافيا إلى حد ما. الفكتوريين في بريطانيا **غالبا ما يرون أن النحت الأفريقي قبيح**، ولكن بعد عدة عقود فقط، الادواردين شاهدوا نفس المنحوتات ووجدوا أنها جميلة. تقييمات الجمال قد تكون مرتبطة بالرغبة. وبالتالي أحكام القيم الجمالية من الممكن أن ترتبط بأحكام قيمية (اقتصادية،

سياسية وأخلاقية) فالشخص يحكم ان سيارة (لامبورغيني) جميلة ويرجع ذلك كونها مرغوبة ورمزا للحالة، أو قد نحكم انها ولو بشكل جزئي مثيرة للإشمئزاز لأنها تمثل لنا الإفراط في الاستهلاك أو أنها تسيء للسياسة أو القيم الأخلاقية (جزء لا يتجزأ في الحيوان والمجتمعات البشرية، دراسات في السلوك البشري والحيواني، المجلد٢، ص١١٥-١٩٥،كامبريدج، ماساشوستس UP ارفارد،١٩٧٠). من الممكن أن تكون الأحكام الجمالية جيدة جدا ومتناقضة داخليا. وبالمثل الأحكام الجمالية عادة ما تبدو على الأقل (فكرية وتفسيرية) ولو جزئياً.

أكدت الجماليات الحديثة ان الإرادة والرغبة تكمن في التجربة الجمالية، ولكن التفضيل والاختيار يبدو مهمة جمالية لبعض مفكري القرن العشرين. وبالفعل هذه النقطة قد كتبت من قبل الفيلسوف **هيوم** حيث الأحكام الجمالية يمكن النظر إليها كقاعدة للإحساس، المشاعر، الآراء الفكرية، القدرة، الرغبة، الثقافة، الأفضليات، القيم، سلوك اللاوعي، قرار واع، التدريب، الغريزة، المؤسسات الاجتماعية، أو بعض التراكيب المعقدة منها، اعتمادا على أي نظرية توظيفه.

هل إن أشكال الفن المختلفة "الجميل أو المقرف أو الممل" متشابهة؟

كيف يتم توحيده الأحكام من خلال الأشكال الفنية؛ فنستطيع أن نصف شخص أو منزل أو سمفونية أو عطر أو حتى دليل رياضي بأنه جميل.

- ما هي الخصائص التي يتشاركون فيها؟ وما الذي يعطيهم نفس الخاصية أو نفس الوصف؟
- ما المميز الذي يجعل دليلاً رياضياً وعطراً يتشاركان التفضيل والتي بمقتضاها جعلتهما يعتبران جميلان؟
- ما الذي يجعل من لوحة جميلة مختلفة تماماً عما يجعل الموسيقى جميلة؟

توحي هذه التساؤلات الافتراضية بأن كل شكل من أشكال الفن له لغته الخاصة للأحكام الجمالية. وفي الوقت نفسه، هنالك على ما يبدو قلة أو شح في الكلمات التي تعبّر عن الذات بدقة عند إجراء الحكم الجمالي. الحكم الجمالي لا يمكن أن يكون حكماً تجريبياً. لذلك، نظراً لاستحالة الدقة، هناك التباس حول ما إن كانت التفسيرات قابلة للتفاوض من الناحية الثقافية. فيقول **فيتجنشتاين** في محاضراته عن الجماليات وألعاب اللغة؛ **لقد اختبرت اثنتان من المشاعر المختلفة جذرياً من خلال شخصين مختلفين من الممكن أن يمثلا من خلال تعبير لفظي متطابق.**

ثانياً- علاقة الفن بالجمال

كثيرا ما يحدث اللبس بين الجمال والفن، بالرغم من قربهما من بعض إلا أن الجمال يختلف عن الفن من حيث الأمور الحسية والوجدانية، **فالجمال** ليس بحسي بل يتعلق أكثر بالأمور الوجدانية والأحاسيس او المشاعر أما **الفن** فهو إمّا خلق او إعادة خلق مكون مادي محسوس ان كان بشكل لوحة فنية او تمثال وحتى القصائد

الشعرية و الأعمال الموسيقة والت هي رغم عدم قدرة المرء على لمس النغمات او الكلمات الشعرية الا انه قادر على لمس الالة التي صنعت او خلقت هذا العمل ان كان بيانو او قلم .

تعريف الجمال

كان اليونانيون يرون ان الإله يجمع بين الجماليات البشرية الكاملة، وانه المثال المتكامل السامي للإنسان. فعُرف الفن عند اليونان بأنه كل نشاط صناعي نافع بصفة عامة ولم يقتصر على الشعر والنحت والموسيقى بل شمل الصناعات المهنية كالنجارة والبناء والحدادة، فكان **ارسطو** يرى الفن كتقليد (محاكاة)، وفي معجم اكسفورد عرف الفن نقلا عن **جون ستيوارت مل** بالسعي وراء الكمال في الأداء، اما **ماثيو ارنولد** فعرفه بالصناعة التي لا تشوبها شائبة وكان **جيرم ستولنتز** صاحب التعريف الأوسع انتشار للفن بانه المعالجة البارعة الواعية بوسيط من اجل تحقيق هدف ما. وعرف **هربرت ريد** الجمال بانه وحدة العلاقات الشكلية بين الأشياء التي تدركها حواسنا، إما **هيجل** فكان يرى الجمال بأنه ذلك الجني الأنيس الذي نصادفه في كل مكان، فيما عرف **جون ديوي** الجمال بفعل الأدراك والتذوق للعلم الفني .

ويعدُّ الفن واحدًا من المجالات التي يسيطر الجمال عليها، ويظهر من خلالها، ولكن الفن ليس هو الجمال، إذ قد يوجد الفن ولا يوجد الجمال فيه، إما لطبيعة ذلك العمل الفني الذي ربما كان تصويراً للقبح، وإما لأن الفنان قد غلب عليه الجانب الفني.. فلم يأبه لمراعاة الجمال. وقد خلط كثير من الكتَّاب بين الكلمتين، حتى ما يكاد القارئ يلحظ فرقًا في استعمالهما، إن كتبا كثيرة وضعت (**الجمال**) عنوانًا لها، ولكنك لا تجد فيها غير الحديث عن الفن، وكأنه هو الجمال.

وربما يمكن تفسير ذلك بسبب ما ذهب إليه بعض الفلاسفة من اعتبار الفن الميدان الوحيد للجمال. وأن **علم الجمال** قاصر على الفن. ومن هؤلاء الفلاسفة **هيغل** بقوله: **نقصر مصطلح علم الجمال على الفن الجميل** وقال: ان الموضوع الحق لبحثنا هو جمال الفن منظورا إليه على أنه الحقيقة الوحيدة لفكرة الجمال. وهنا بات القطع بأن الصلة وثيقة بين الفن وبين الجمال فمن غاية الفن تحقيق الجمال، ولكنه تارة يدرك هذه الغاية وتارة تفوته. والجمال لا يمكنه الاستغناء عن الفن كميدان من ميادينه الفسيحة، ولكن لا يستطيع أن يتخلى عن مجالاته الأخرى التي منها الطبيعة والإنسان.

وقد حاول **جون ديوي** توضيح الصلة بين الفن والجمال بقوله: **أن الفن يشير إلى العمل الإنتاجي، وأن الجمال يشير إلى الإدراك والاستمتاع، إلا أنه في بعض الأحيان يشار إلى فصل الظاهرة الفنية من حيث هي إبداع وخلق عن الظاهرة الجمالية من حيث هي تذوق واستمتاع، كي لا يكون الفن شيئًا مفروضًا على المادية الجمالية.**

حقيقة الجمال

يمكن القول إن للجمال حقيقة، وهي موجودة وثابتة، ولكن أين؟ وكيف نضع يدنا عليها؟ وهل هي الصفة المستقرة في ذات الشيء؟ وعلى هذا تكون حقيقة الجمال مستقرة في ذلك الشيء. ام انها ذلك الشعور الذي ينبع من نفس الإنسان تجاه شيء ما؟ وحينئذٍ تكون حقيقة الجمال مستقرة في نظرة الإنسان من خلال ما يشعر به نحو ذلك الشيء؟

ويرى **شوبنهاور** **أن الجمال صفة موجودة في ذات الشيء**. كما يعد **هيدجر** مهمة الفن هي الكشف عن حقيقة الموجود، وعلى هذا فالجمال في نظره ليس سوى مظهر من مظاهر تجلي الحقيقة حينما تتفتح بكل معنى الكلمة.

لكن **كانت** يرى أن جمال الشيء يتوقف في تقديره على ما يشعر به الإنسان نحو هذا الشيء، أي أنه لا يوجد شيء جميل في ذاته، يعتقد كل الناس أنه جميل، بل إن الأشياء تعدّ جميلة أو غير جميلة طبقًا لتقدير كل إنسان لقوة تأثيرها في عقليته ونفسيته. وذهب **كاسيرر** الى إن الجمال ليس مجرد خاصية مباشرة باطنة في الأشياء، بل هو يتضمن بالضرورة إحالة إلى الذهن البشري الذي يدركه. وبهذا تنتقل حقيقة الجمال من كونه صفة في الشيء إلى طريقة إدراكه وأثر النفس الإنسانية في هذا الإدراك. وتضح لنا مما سبق أن هناك اتجاهين:

الأول يعد حقيقة الجمال قائمة في ذات الشيء الجميل، فهي صفة من صفاته.

والثاني يرى أن حقيقة الجمال مستقرة في شعور الإنسان نحو ذلك الشيء.

الجمال في الإنسان

الإنسان... هو ذلك المخلوق الذي سواه الله تعالى بيده، ونفخ فيه من روحه.. وأسجد له ملائكته. إنه عالم من العوالم، وكون من الأكوان.. ما زال العلم يبحث في أرجائه المادية فلم يصل إلى غاية ففي كل يوم كشف جديد، ومعلومات جديدة وكلما تقدم العلم في هذا كشفت له جوانب لم يكن يعلمها.

فما بين قوامه المميز والفريد من حيث التناسق بين الأعضاء، والمرونة في حركة كل عضو، وما بين التكيّف في حركة الأعضاء بعضها مع بعض، يعمل هذا التناسق بين العقل والجسد.. والروح.

والمرحلة الأولى التي ينطلق منها الجمال هي **التسوية** التامة للشيء، فعدم الخلل وعدم النقص هو الحد الأدنى في الجمال. **والتسوية** هنا الوصول بالشيء إلى مرحلة الكمال. ومنه قوله تعالى **:﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾** وإذا كانت هذه التسوية من قِبَل الله فلا بد أن تصل إلى الجمال. على أن القرآن لا يقف عند هذا الحد في تقرير كمال وجمال الإنسان بل يصرح بذلك بما لا يدع مجالاً للريب، بأن لا يكتفي باستعمال لفظ الزينة كما في الحديث عن جمال السماء، بل يستعمل اللفظ الذي استعمله في القاعدة الكلية **أحسن** ويستعمله في تعبيرات مختلفة كقوله تعالى ﴿**خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ**

الْمَصِيرُ﴾. وهذا ما نقرأه في الكتاب المقدس (**نظر الله فرأى أن كلَّ ما صنعه حسن) (تك ١، ٣١)** فالله الخالق أقام الإنسان في مجتمعه وزينه بالفهم والحرية. وهذا يجعلنا نتجاوز الجمال في صورته الظاهرة الى الجمال الإنساني في صورته الباطنة، فالجمال ليس مظهرا أو شكلاً ماديا فحسب، نستطيع رؤيته من خلال اللون والمادة ..ولكنه - أيضًا - هو المعنى الذي يقوم في النفس، فيبدو من الحركة والكلمة، من السلوك والسمات، من المعاني النفسية من صدق وإخلاص واستقامة، انه جمال لا يقل أثره عن أثر الجمال الظاهر.